المخالفات العقدِيَّة
من خلال كتاب (الحوادث المكّيّة)
لأحمد بن أمين بيت المال (ت 1323هـ)
(2)

قراءة وتعليق
فوزي بن عبد الصمد فطاني
باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات

009665 565 412 942 جوال سلف

SALALFCENTER salafcenter3@gmail.com SALALFCENTER

٧- طريقة في الاستسقاء:

ذكر المؤلف في حوادث سنة ١٢٩١هـ: وفي يوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة أمر الباشا بالقراءة على سبعين ألف حجر آية: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ} الآية، وكل مائة مرة يقرأ هذا الدعاء: (اللهم لا تهلك عبادك بذنوب عبادك، ولكن برحمتك الشاملة اسقنا ماء غدقا تحيا به الأرض، وتروي به العباد، إنك على كل شيء قدير)، فجمع سعادة السيد أحمد دحلان سبعين من تلامذته، وقرأ كل واحد على ألف حجر، ثم وضعوها في كيس وأنزلوها في بئر عدسة.

ثم علق المؤلف وقال: "وهذه الفائدة لجلب المطر مجرَّبَة، مرويّة عن الحسن البصري وابن سيرين، وقد فعلوها في جدة فأمطروا، وبعض الجماعة اعترض قائلًا: يتركون الاستسقاء الذي وردت به السنة، ويفعلون هذه البدعة، والمقصود من ذلك المطر، والله الموفق".

٨- التجمع لقراءة القرآن على الميت أيام العزاء:

من عادات أهل مكة في أيام العزاء الثلاثة أن يهيّئ ذوو الميت بعد صلاة المغرب مصاحف مجزأة، يضعون أمام كل شخص ممن يحضر جزءًا يتلو فيه ما تيسر من القراءة، ويكون مع الجمع قارئ بالغيب. ذكر ذلك محمد رفيع في تاريخه[١]، والمستشرق سنوك في رحلته[٢].

ونجد المؤلّف يذكر في حوادث سنة ١٢٧٩هـ: أن السيد أحمد دحلان صلى صلاة الغائب على السيد صالح بن السيد عبد الله، وكان رجلا من الصالحين، من أهل الكرامات الظاهرة، وهو أكبر من في حضرموت من السادة العلويين، وعملوا له قراءات في المسجد الحرام ثلاثة أيام، وحضر فيها خلق كثير.

٩- قراءة القرآن والذكر والصلوات عند قبر السيدة خديجة رضي الله عنها عادة في كلّ سبت من شهر ذي القعدة:

ذكر المؤلف في حوادث سنة ١٢٧٩هـ: أن جميع أيام سبت شهر ذي القعدة بالخصوص

---

(١) مكة في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ٩٨-٩٩).

(٢) صفحات من تاريخ مكة المكرمة (٢/ ٤٩٥).

موعد للمبيت عند قبر السيدة خديجة أم المؤمنين؛ فيقرؤون القرآن عنده، وباقي الأذكار والموالد والصلوات، وبعض الناس يزورون ويرجعون.

ثم قال المؤلف: "قيل: إن ذلك بدعة، لكن أخبرني من أثق به عن الشيخ جمال -رئيس المدرسين ببلد الله الأمين- أنه سمع من أشياخه أن لذلك أثرًا، ولكنها ليست مقيدة بهذا الشهر، بل في كل شهر"[(١)].

وهذه العادة -كما صرح المؤلف- ليست مقيدة بشهر ذي القعدة؛ إلا أن المعروف عنها أنها تقام في ليلة الحادي عشر من كل شهر[(٢)]، ولا يكتفون بما ذكره المؤلف من الأذكار؛ بل تقام هنالك الأسواق ويجتمع النساء والرجال، ويصحبون معهم الأطعمة والمشروبات، ويجلسون على المقابر، ولا تسأل عما يأتيه هذا الخليط من النساء والأولاد من استهانة بحرمة المقابر، ووطئها، والتبول حولها، فإذا انقضت الليلة عاد كل شيء إلى سابق عهده، وهذه العادة أبطلها الشريف (الحسين بن علي)، فقد منع المبيت وباعة الحلوى، واقتصر الأمر على الزيارة فقط[(٣)].

هذا إضافة إلى أن تحديد مكان قبر السيدة خديجة غير معلوم على الصحيح، فالمكان المتعارف عليه ذلك الحين تمَّ تحديده متأخِّرًا بناء على رؤيا منامية!

قال الفاسي (ت: ٨٣٢هـ): "ولا يُعرف فيها -أي: بمقبرة المعلاة- تحقيقًا قبر أحدٍ من الصحابة، وليسَ في القبر الذي يُقال له: قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أثرٌ يُعتمد"[(٤)].

١٠- المبيت في منى ليلة السبت:

وفي حوادث سنة ١٢٧٩هـ: ليلة السبت الرابع عشر من شهر ذي القعدة -ذكر المؤلف بعد ذكره لعادة ذهاب الناس لقبر السيدة خديجة رضي الله عنها كل سبت من ذلك الشهر- أن العادة في هذه الليلة أن يذهب الناس إلى منى، ويباتون في مسجد الخيف؛ لأنه مستجاب

---

(١) وهذا الجواب باطل؛ فالتجربة ليست دليلا شرعيًّا، ولا تُثبِت حكمًا شرعيًّا.

(٢) صفحات من تاريخ مكة المكرمة (٢/ ٤٠١).

(٣) مكة في القرن الرابع عشر (ص: ١٢٨-١٢٩).

(٤) شفاء الغرام (١/ ٥٣٥).

الدعاء في مثل هذه الليلة من كل شهر.

وذكر أنهم يقرؤون القرآن والأذكار والموالد والصلوات.

وهذه العادة التي ذكرها المؤلف من العادات القديمة التي استمرت في مكة، وأنكرها كثير من العلماء، ولعل مستند من يحدد السبت ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: (لو كنتُ من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت)[1].

وقال ابن حجر الهيتمي معلقًا على هذا الأثر: "ففيه إشعار بشرفها، ولا يؤخَذ منه ندب ذلك؛ لأنه متوقف على صحته عن أبي هريرة، وأن ذلك لا يقال من قبل الرأي، فمن أخذ ذلك منه مع الغفلة عما ذكرته فهو جاهل ضالٌّ، كيف وقد ترتب على ذلك من المفاسد الواقعة في السبت المشهور بمنى مما يتعين على كل ذي قدرة السعي في إزالته وكف من يغري العامة به من الذهاب إليه معتلًّا بقصد الزيارة والبركة، وغافلًا عما وقع فيه من الإعانة على المعصية وإيقاع غيره في الضلال والهلكة"[2].

وقال علي بن عبد القادر الطبري (ت: ١٠٧٠هـ): "فمن هنا أخذ بعض أهل مكة زيارته في كل سبت، ومن قواعدهم أنهم يجتمعون فيه ليلة السبت المعروف بسبت منى، ويصلون المغرب فيه جماعة بعد أن يطلع رئيس المؤذنين بمكة إلى منى، ويؤذن المغرب في المسجد المذكور، ثم بعد صلاة المغرب يقع كثيرًا أن يجعل بعض الطوائف زفة من باب المسجد المذكور، ويمشي إلى مسجد النحر، ويقع تلك الليلة اجتماعٌ كبير بمنى؛ بحيث إن بعض الناس يطلع من يوم الخميس، ويطلع النساء، ويقع فساد كبير، وقد سئلتُ سابقًا عن حكم ذلك، فأفتيت بعدم الجواز، وأنه يجب على ولاة الأمور منع هؤلاء؛ لأن منى من جملة المشاعر، فلا يجوز إظهار تلك الشعيرة في غير وقتها، وخصوصًا مع ما انضم إلى ذلك من مقتضيات التحريم"[3].

---

(١) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (٢/ ١٧٤).

(٢) حاشية ابن حجر الهيتمي على الإيضاح (ص: ٤١١).

(٣) الأرج المسكي (ص: ٧٤-٧٥).

١١- التشاؤم بآخر أربعاء في شهر صفر:

ذكر المستشرق سنوك بأن الأربعاء الأخير من شهر صفر يتشاءم الكثير من الناس ويتغيرون، غير أن سبب ذلك غير واضح تمامًا؛ والفكرة المنتشرة أن هذا الشهر مملوء بأنواع المكاره التي تحصل عادة في الأربعاء الأخير من هذا الشهر[١]. وأما محمد رفيع فقد ذكر تعليلًا يعتقده العوام؛ إذ يزعمون أنه اليوم الذي ينفخ فيه في الصور! ففي أمسيته يخرجون إلى ما حول مكة من بساتين، يعبرون عن هذا المخرج بأنهم يدوسون الخضرة، وكثير من الأهالي يلتزم فيه صنع العيش باللحم، وهم وإن كانوا يصنعونه في سائر أيام السنة إذا اشتهوه، إلا أنهم في هذا اليوم يصنعه الكثير منهم، حتى تكتظ الأفران به، وحتى عرف هذا اليوم بـ(يوم العيش باللحم)[٢].

ولا شك أن التعليل بنفخة الصور لا يتناسب مع الفعل المذكور، ولا ما سيذكره المؤلف؛ **فقد تحدَّث المؤلف عن هذه العادة في حوادث سنة ١٢٩٠هـ**، وقال: وفي آخر ربوع في صفر من العادة في مكة أن أهاليها يقيلون فيه، فخرج أهالي الشامية إلى الشهداء بالسماع، ومكثوا فيه ستة أيام، فصار أهل البلد يخرجون ويتفرجون عليهم، وقد أظهروا زينة عظيمة وخيمًا كثيرة، ولكن قد فاتهم في وقته.

وفي حوادث سنة ١٣١٢هـ ذكر أنه: في آخر ربوع من صفر يعتاد الأهالي القيلة في مثل هذا النهار، وقد خرج الناس إلى منى وبركة ماجد، ونحن قيلنا في مربعتنا في جياد، وأما أهالي جرول فانقسموا قسمين: قسم على رأس عُود ابن غلوي، والآخر على رأس فراج عامودي، فأخذوا جماعة في بيت الشهيد، وجماعة في بيت السيد إسحاق، وكلهم خرجوا بالطرب، ووقعت بينهم مضادة، ومكثوا ستة أيام يرمون القطع والعرضية والأنس.

١٢- زيارة قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها يوم ١٢ صفر ثم الذهاب إلى مقبرة الشهداء:

---

(١) صفحات من تاريخ مكة المكرمة (٢/ ٣٩٢).

(٢) مكة في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ١٣٠).

قال المستشرق سنوك: "وبعد بداية شهر صفر يقوم المكيون بالتحضير والاستعداد بمناسبة شعبية مهمة، هي احتفالات الثاني عشر من صفر الخاصة بالسيدة ميمونة رضي الله عنها"[١].

وموضع قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها هو أصح موضع ثابت من قبور الصحابة في مكة، وفي هذا يقول الفاسي: "ومن القبور التي ينبغي زيارتها: قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنه، وهو معروف بطريق وادي مر، ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر؛ لأن الخلف يأثر ذلك عن السلف، والموضع الذي فيه قبر ميمونة رضي الله عنها يقال له: سَرِف"[٢].

وقد تحدث المؤلف كثيرًا عن هذه العادة في كتابه، ينظر في ذلك حوادث السنوات الآتية: ١٢٨٠هـ، ١٢٨١هـ، ١٢٨٤هـ، ١٢٨٤هـ، ١٢٨٥هـ، ١٢٨٧هـ، ١٢٨٨هـ، ١٢٩٠هـ، ١٢٩١هـ، ١٢٩٧هـ، ١٢٩٨هـ، ١٣٠٠هـ، ١٣٠١هـ، ١٣٠٣هـ... إلخ.

وبيَّن المؤلف أن مثل هذه الاحتفالات قد يشاركهم فيها غير أهل مكة كذلك، ففي يوم الثاني عشر من شهر صفر سنة ١٣١٤ هـ خرج الناس لزيارة السيدة ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها بكثرة، وكذلك جاء أهالي جدة للزيارة بكثرة، وطلعوا إلى الطائف.

وقد يظن القارئ للكتاب أن هناك ارتباطًا بين زيارة قبر أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ومقبرة الشهداء، فقد ذكر المؤلف ذلك في كثير من السنوات؛ فتارة يقول: "مكثنا في (السيدة) ميمونة يومًا، ويومين في الشهداء، وحصل لنا أنس عظيم".

وقال في حوادث سنة ١٣٠١هـ: "خرج الناس لزيارة السيدة ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، ثم رجعوا للشهداء، ومكثوا سبعة أيام في هناء وسرور".

وقال في إحدى السنوات: "والجميع رجعوا إلى الشهداء، وبعضهم مكث ثلاثة أيام، وبعضهم أربعة، وبعضهم أقل، وبعضهم أكثر".

إلا أن زيارة مقبرة الشهداء ليلة ١٤ كانت من العادات المستمرة في كل شهر.

---

(١) صفحات من تاريخ مكة المكرمة (٢/ ٣٨٨).

(٢) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٣٧٨).

نبذة عن مقبرة الشهداء:

فخ وادي الزاهر فيه قبور جماعة من العلويين، قتلوا فيه في واقعة كانت لهم مع أصحاب موسى الهادي بن المهدي بن المنصور في ذي القعدة سنة تسعة وتسعين وستين ومائة، ذلك أن الحسين بن علي صاحب فخ تغلَّب على مكة في أيام الهادي، واقتتل هو وبنو العباس يوم التروية بظاهر مكة، وقتل هو رحمه الله، وقتل معه أزيد من مائة رجل من أصحابه، وكان القتال بفخ ظاهر مكة عند الزاهر، ودفن هناك، وقبره معروف[١].

"وهذا المحل الذي فيه الشهداء العلويون وابن عمر في آخر الزاهر في سفح الجبل على يسار الذاهب إلى التنعيم قريب من المدرج، وقد جدّد هذا المحل في زمن السلطان عبد المجيد خان، وهو مشهور عند أهل مكة، يخرجون إليه ليلة [أربع عشرة] من كل شهر يذكرون الله هناك، وتظهر عليهم البركات"[٢].

١٣- اغتصاب الفوانيس من أرباب الدكاكين للاحتفال بالمولد النبوي:

ذكر المؤلف في حوادث سنة ١٣١٢هـ ما خالف المعهود في ذلك العهد، وقال: في ليلة الثاني عشر من شهر ربيع كان مولد النبي صلى الله عليه وسلم، فأطلقت المدافع في الأوقات الخمسة، وسرجت المنائر، وكانت ليلة زاهرة. ولم يفعل المحتسب الجديد الشيخ سليمان شلهوب البدعة التي اخترعها الحكام، وذلك أنهم يسرجون فوانيس من باب علي إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين وشمال، الفانوس بجانب الفانوس، يغتصبونها من أرباب الدكاكين، فمن لم يعطهم فانوسًا يأخذون منه خمسة قروش، وغالب الفوانيس تسرق على أربابها، فشكره الناس برفع هذه البدعة، مع أن جميع سكان القشاشية مسرجون وفارشون على حسب العادة القديمة.

ختامًا: مما يلاحظ أن السيد أحمد دحلان قد أسهم في تعزيز الكثير من البدع في مكة في الحقبة الأولى التي كتب عنها المؤلف، كما أن المؤلف أبرز دور الشريف عون في إنكار بعض هذه البدع بعد تسلمه إمارة الحجاز سنة ١٢٩٩هـ؛ أي قبل وفاة دحلان بخمس سنوات تقريبًا.

---

(١) انظر: الجامع اللطيف (ص: ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) تحصيل المرام (٢/ ٦٧٦).

وكان الشريف عون الرفيق يميل في عقيدته إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١]، ومما يؤكد ذلك أنه أمر بهدم بعض القباب والمباني الموجودة على القبور المقدسة، مثل قبر عبد الله بن الزبير ومحل الشيخ الفاسي والشيخ الرشيدي والسيد العيدروس الكائنين في المعلاة على قبورهم؛ لأن المحل أخذ فراغًا كبيرًا من المقبرة، ثم أمر بتكسير جميع التوابيت التي على القبور؛ لأنها من البدع، وقد أمر بهدم قبر الشيخ هارون الكائن في درب الشبيكة تجاه بيت أبي العز[٢].

كما أمر الشريف عون الرفيق بهدم قبر حواء في جدة[٣]، واعترضت قناصل الدول الأجنبية عليه عندما أمر بهدم قبر حواء، وقالوا له: "لك ما تشاء في الأولياء، ولكن حواء أم للناس أجمعين، ونحن نحتج على هدم مقامها"، فاقتنع الشريف عون بما قالوا، وترك هدم ذلك القبر[٤].

وقد كان للشيخ أحمد بن عيسى الأثر البالغ على ما اتخذه الشريف عون الرفيق من قرارات، حيث أقنعه بهدم القباب والمباني التي تعلو القبور والمزارات، وشرح له أن هذه الأعمال مخالفة للإسلام، وأنها غلو وتعظيم للأموات، وتتسبب في فتنة الأحياء، وبث الاعتقادات الفاسدة فيهم، فما كان من الشريف عون إلا أن أمر بهدم القباب التي تعلو القبور، عدا قبة القبر المنسوب إلى خديجة رضي الله عنها، والقبر المنسوب إلى حواء في جدة، فأبقاهما خشية حدوث الفتنة[٥].

ومن الأعمال الدينية التي قام بها الشريف عون الرفيق منعه قراءة البردة والهمزيّة وسائر البدع في الزواجات سنة ١٣١٦هـ، كما تم منع النساء عن زيارة القبور، فدعا له جميع الناس لذلك. وكذا تحذيره من إلباس الأولاد الحُجُب والتمائم من الفضّة، وقيامه بإغلاق ورش صناعة المسابح، حيث ظلّت هذه الصناعة ممنوعة بمكة طيلة مدة حكمه[٦].

---

(١) انظر: الرحلة الحجازية للبتنوني (ص: 79).

(٢) انظر: الحوادث المكية، حوادث سنة ١٣١٧هـ.

(٣) انظر: الرحلة الحجازية للبتنوني (ص: 79)، تاريخ مكة للسباعي (٢/ ٦٢٣).

(٤) انظر: مكة في القرن الرابع عشر (ص: 126).

(٥) انظر: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق للبسام (١/ ٤٤٠).

(٦) انظر: مكة في القرن الرابع عشر (ص: ٢٣٩)، الحضارم في الحجاز لخالد حسن سعيد (ص: ٢٤٠-

ومن ذلك أيضًا: توسيعه لباب غار ثور، وكان الباب لا يتسع إلا لنفر واحد يدخل منه زاحفًا على بطنه، حتى ساد الاعتقاد بين الناس أنه لا يدخله إلا السعيد، وأما الشقي فلا يستطيع دخوله. فأراد الشريف توسيع ذلك الباب لإزالة ذلك الوهم الفاسد لدى الناس[1].

والحمد لله رب العالمين.

---

٢٤١).

(١) انظر: الرحلة الحجازية للبتنوني (ص: 80).